https://doi.org/10.61353/ma.0190001

فاعلية المؤسسات الأكاديمية في مكافحة الفكر المتطرف في العراق بعد عام 2017

م.د. مريم محمد حسين
جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية
Mariam.mohammed@nahrainuniv.edu.iq

تاريخ استلام البحث 2024/ 12/1 تاريخ ارجاع البحث 2024/12/15 تاريخ قبول البحث 2024/12/31

تؤدي المؤسسات الأكاديمية دوراً كبيراً ومهماً في مواجهة الأفكار المتطرفة للتنظيمات الإرهابية التي أخذت تنشر معتقداتها وأفكارها الهدامة بين صفوف الشباب، ولم تعد المؤسسات الأكاديمية معنية بمنح الشهادات العلمية في ظِل اجتياح موجات التطرف للعالم، بل أصبحت مطالبة بأن تكون أساساً لبناء الإنسان المنتمي لوطنه والمؤمن بقضايا أمته والمسلح بالعلم والثقافة والمعرفة لكي يصد بها كل ما من شأنه النيل من المجتمعات الآمنة.، يعد التطرف ظاهرة فكرية تؤثر على البيئة الأمنية من الناحية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية وفضلًا عن الخطورة التي تولدها في المجتمع والآثار السلبية التي تؤثر على الأفراد بشكل عام والطلبة بشكل خاص، لذا فأن دور المؤسسات الأكاديمية مهم في كل دولة من أجل توعية الطلبة بمختلف اعمارهم على السلوكيات الصحيحة ومساعدتهم في التخلص من الأفكار المتطرفة وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر بحسب تعاليم الإسلام والسنة النبوية، فأن تفعيل دور المؤسسات الأكاديمية في مكافحة الإرهاب اليوم أصبح واضحاً بفعل التطورات التي حصلت التي ظهرت فيها القدرة على التأثير في الآخرين بعيداً عن الأجهزة الأمنية.

الكلمات المفتاحية: التطرف، الإرهاب، المؤسسات الأكاديمية، الجامعات، الطلبة.

Academic institutions play a major and important role in confronting the extremist ideas of terrorist organizations that have begun to spread their destructive beliefs and ideas among young people. Academic institutions are no longer concerned with granting academic degrees in light of the waves of extremism sweeping the world. Rather, they are required to be the basis for building a person who belongs to his country and believes in the issues of his nation and is armed with science, culture and knowledge in order to repel everything that would undermine safe societies. Extremism is an intellectual phenomenon that affects the security environment from a political, economic and social perspective, in addition to the danger it generates in society and the negative effects that affect individuals in general and students in particular. Therefore, the role of academic institutions is important in every country in order to educate students of all ages about correct behaviors and help them get rid of extremist ideas and enjoin what is right and forbid what is wrong according to the teachings of Islam and the Sunnah of the Prophet. Activating the role of academic institutions in combating terrorism today has become clear due to the developments that have occurred in which the ability to influence others has emerged away from the security services.

Keywords: extremism, terrorism, academic institutions, universities, students.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

المقدّمة

انتشرت في العقود الأخيرة من التاريخ موجة عارمة من التطرف في العديد من دول العالم، من بينها العراق، فقد استعملت الأيادي الطامعة بخيرات العراق كلّ أسلحة التطرف المولّدة للإرهاب، فضّلاً عن اعتماد تقنيات وأساليب فكرية جديدة تستهدف التحول باتّجاه ما أصبح يعرف دولياً بالتطرف العنيف، ما سبب صراعات دموية تجتمع لديها الاجندات السياسية والأيديولوجية والإجرامية، وأظهرت قدرتها على استغلال العلاقات المعطلة داخل المجموعات الاجتماعية في الدولة، التي عملت على تمزيق النّسيج الاجتماعيّ وزرع التفرقة بين صفوف أبناءه، ما أدى إلى تشويه صورة الهوية الوطنية العراقية فضلاً عن تأثيراتها السّلبيّة على المنظومة الأمنية للدولة بكافة أبعادها.

إذ شهدت الأوضاع الثقافية العراقية والبنية الأمنية حالة من التفسخ والإنحلال نتيجة ما تشهده وتعانيه من صراعات وتناقضات حادّة خرجت عن حدود الطبيعي والمألوف، وباتت تهدد ليس فقط حالة الاستقرار الثقافي حتى في صورتها الرثة، بين أفكار وقيم متباينة بين المجموعات الاجتماعية المتنوعة وحوامل انساقها الثقافية بمختلف مشاربها (الدينية، الإثنية، المناطقية . . الخ)؛ وإنما ايضاً على حالة الاستقرار الأمني المجتمعي الذي تفرضه حالة النظام السياسي والتعبئة الفكرية بين القوى المتجاذبة داخله.

وإن التراكمات التي سببها التطرف التي تمتد وتترسخ وتتمثل بحروب عقلية داخلية تطيح بكل سياسات التعايش والتكامل الوطني القائمة على الوسطية والاعتدال وقواعد المنافسة الثقافية والحوار والتسامح الفكري والتوافق على مشتركات ثقافية وطنية. وإن تفكيك ظاهرة التطَرف في العراق وتراكماتها على المجتمع وما سببته من اثار جعلت المجتمع والدولة في موضع الهشاشة؛ تدعونا إلى تفعيل دور المؤسسات الأكاديمية في مواجهته.

أولا/ أهمية البحث

بوصف الإرهاب والتطرف قضية أمنية معقدة ألقت بظلالها على المجتمع العراقي بعد عام 2003 فهي تحتاج إلى اهتمام متعدد الأبعاد من دوائر صنع القرار السياسي، فضلًا عن ضرورة اهتمام النخب المثقفة كأفراد، والمؤسسات الأكاديمية متمثلة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والمؤسسات التربوية والبحثية، ومؤسسات المجتمع المدني، إذ إن لها دور فاعل في مساعدة المؤسسات الأمنية والعسكرية في مواجهة الإرهاب والقضاء على جذوره المتمثلة بالفكر المتطرف، لذلك فإن دراسة موضوع فاعلية المؤسسات الأكاديمية في مكافحة الفكر المتطرف في العراق بعد عام 2017 تعد ذات أهمية كبيرة لعدة أسباب، منها:

1. دراسة هذا الموضوع تسهم في فهم كيفية مواجهة المؤسسات الأكاديمية لهذه التحديات وتعزيز الأمن الفكري.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

2. المؤسسات الأكاديمية هي واحدة من أهم الأدوات في نشر الفكر المعتدل والقيم الإيجابية، فالبحث في فاعليتها يسلط الضوء على مدى نجاح المناهج التعليمية، والأنشطة الثقافية، ودور الأكاديميين في منع الشباب من الانخراط في التطرف.
3. البحث يساعد في تقييم مدى فاعلية البرامج والاستراتيجيات التي اتبعتها الجامعات والمعاهد لمكافحة التطرف العنيف، واقتراح تحسينات جديدة بناءً على نتائج الدراسة.
4. يُعَد هذا المجال من المجالات البحثية الحديثة والمهمة في العراق، ويساعد تناوله في إثراء المكتبة العلمية وتسهم في تقديم توصيات لصانعي السياسات لتطوير برامج مستدامة تعتمد على التعليم كأداة أساسية لمواجهة التطرف العنيف.

ثانيا/ إشكالية البحث

تتمثل اشكالية البحث في أن هناك العديد من الأسباب (الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية، والنفسية) التي أدت الى بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام 2003 والتي افضت الى الكثير من ظواهر الانقسام والاغتراب (الاجتماعي والسياسي،...الخ) للمجتمع العراقي .

فالسؤال الرئيسي يتمثل بـ كيف يمكن للمؤسسات الأكاديمية مواجهة التطرف العنيف في العراق؟

ومن السؤال الرئيس تتفرع تساؤلات فرعية:

1. ماهي أسباب بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق؟
2. ما الأهمية الوظيفية للمؤسسات الأكاديمية في مواجهة التطرف العنيف؟
3. كيف يمكن تنفيذ منطلقات الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب في العراق؟

ثالثا/ فرضية البحث

تضطلع المؤسسات الأكاديمية اليوم بدور تربوي ومعرفي وتثقيفي كبير، بما يقع عليها من مسؤوليات وطنية في تحصين أفراد المجتمع من خطر الأفكار المنحرفة والضالة على وفق المنهج الصحيح والمعتدل، ووفق الأُسس الوطنية والثقافية والاجتماعية، فالأمن لم يعد مسؤولية الجهات الأمنية فحسب، بل أصبح وظيفة تشاركية بين المؤسسات المجتمعية الرسمية وغير الرسمية كافة وواجب من الواجبات وضرورة من الضرورات للمحافظة على مجتمع آمن ومستقر. يركز هذا البحث على فرضية مفادها: **أن معالجة أسباب ظاهرة التطرف في العراق بواسطة آليات ومعالجات اكاديمية تسهم في مناهضة التطرف العنيف المؤدي الى الإرهاب.**

رابعا/ مناهج البحث

لكي يكون البحث متكاملاً بالشكل الذي يطرح ثماره من خلال تقديم تحليلات علمية موضوعية إيجابية حول فاعلية المؤسسات الأكاديمية في مكافحة الفكر المتطرف في العراق، فمن المهم صياغة هذه الدراسة ضمن سياقات علمية منطقية منهجية، إذ وجدنا من الضروري أن نسير على خطى المناهج الآتية:

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

1. **المنهج التحليلي**: وهو المنهج الرئيس في البحث، لتحليل مدخلات أسباب التطرف ومن ثم معالجة الظاهرة في المؤسسات الأكاديمية وصولاً إلى مخرجات مواجهة التطرف العنيف في العراق.
2. **المدخل الوصفي**: الذي سنحاول من خلاله استنباط الحقائق والتأكد من مصداقيتها، وعدم إغفال التأثيرات كافة المتعلقة بهذا البحث.
3. **المدخل التاريخي**: فهو يجيب على السّؤال كيف؟ بمعنى أنه يسمح بتتبع التطورات المختلفة، ويسمح بدراسة الأحداث والوقائع، ويدخل عامل الزمن في مقومات التحليل جميعاً، وتقديم الأدلة في التحليل السياسي.

خامسا/ هيكلية البحث:

جاء البحث الموسوم (فاعلية المؤسسات الأكاديمية في مكافحة الفكر المتطرف في العراق بعد عام 2017) في مبحثين، فضلاً عن مقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول الإطار التمهيدي للبحث، وتم تقسيمه إلى مطلبين، عرف الإرهاب والتطرف في المطلب الأول، وسيحلل أسباب بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام 2017 في المطلب الثاني، أما المبحث الثاني بعنوان الدور الوظيفي للمؤسسات الأكاديمية في مواجهة الفكر المتطرف.

المبحث الأول: الإطار التمهيدي للبحث

يمثل هذا المبحث الإطار النظري والتمهيدي للبحث، إذ سيعرف ظاهرتي الإرهاب والتطرف في المطلب الأول، وسيحلل أسباب بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام 2017 في المطلب الثاني.

المطلب الأول: تعريف الإرهاب والتطرف

قبل التطرق إلى أسباب بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام 2017، ينبغي أن نعرف الإرهاب والتطرف بشيء من الايجاز كمدخل للبحث.

1. **الإرهاب**: في الحقيقة لا يوجد تعريف محدد لكلمة الإرهاب فقد تعددت التعريفات، فمنهم من يعرفه "بالعمل الإجرامي المصحوب بالعنف، أو الفزع بقصد خدمة هدف محدد" كذلك تم تعريفه على "أنه كل اعتداء على الأرواح والممتلكات العامة أو الخاصة المخالف لأحكام القانون الدولي بمصادره المختلفة"[(1)].

   أما الأمم المتحدة وبعد جهود مستمرة منذ عام 1947 ولغاية يومنا الحاضر، وبعد نقاشات واجتماعات مكثفة توصلت إلى أن الإرهاب يمثل "جميع الممارسات والوسائل غير المبررة التي تشير إلى رعب الجمهور أو مجموعة من البشر لأسباب سياسية وبصرف النظر عن بواعثه المختلفة"[(2)].
2. **التطرف**: فكرٍ آثم، لا يقابله إلا فكر أعمق منهُ هو التسامح، فالتطرف لا يجلب إلا مزيداً من الكراهية، ولن يولد سوى الانتقام، وبذلك فهو يعد من أعتى المهددات وأشدها خطراً على

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

المجتمع[3]. وللتطرف أشكال متعددة ومختلفة تبعاً للزمان والمكان، فيمكن أن يكون دينياً، أو طائفياً، أو قومياً، أو اجتماعياً، أو لغوياً أو ثقافياً أو سياسياً، والتطرف الديني يمكن أن يكون إسلامياً، أو مسيحياً، أو يهودياً، أو هندوسياً، أو غيره، كما يمكن أن يكون التطرف علمانياً، حداثياً، مثلما يكون محافظاً وسلفياً، فلا فرق في ذلك سوى في المسوغات التي يتحجج عليها لإلغاء الآخر، بوصفه مخالفاً للدين، أو خارجاً عليه، أو منحرفاً عن العقيدة السياسية، أو غير ذلك. وفي هذا الإطار يمكن أن بين أشكالًا مختلفة من التطرف، وتعد هي الأكثر انتشاراً خلال المرحلة الحالية وهي: التطرف الديني، والتطرف السياسي، والتطرف الفكري.

المطلب الثاني: أسباب بروز ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام 2017

هناك عدد من العوامل المتداخلة التي أسهمت في بروز ظاهرة الإرهاب والتطرف في المجتمعات وهي العوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية لتشكل ظاهرة تحقق أهدافها بممارسة العنف والقتل، ويمكن إيرادها في هذا البحث بالشكل الآتي:

1. الأسباب الاجتماعية والاقتصادية:

تعد من أهم الأسباب التي تدفع الفرد للانحراف باتجاه الإرهاب وفكره المتطرف نتيجة التغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في العراق خصوصاً بعد عام 2003، وزيادة الهجرة من الريف إلى المدينة وانتشار الأحياء العشوائية الفقيرة في العديد من المدن وبفعل عجز بعض سكانه عن التكيف مع قيم المدينة المختلفة عن قيمهم الريفية، فضلًا عن عجزهم عن إيجاد فرص عمل مناسبة لهم لتدني مستواهم التعليمي وسوء الأحوال الاقتصادية مما أدى إلى تفشي البطالة وخاصةً بين صفوف فئة الشباب، فكان استقطابهم من قبل جماعات التطرف أو العنف، أو انضمامهم التطوعي لها مسألة سهلة الى حدٍ كبير، كما أثرت الأزمات الاقتصادية والحروب التي عانى منها العراق في الطبقات الفقيرة، مما أدى الى تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وسوء الخدمات والتضخم وارتفاع الاسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي وتنعكس اثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ تربة صالحة للتطرف تزود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الاحباط ويفتقدون للشعور بالأمان والأمل في المستقبل، رافق ذلك غياب العدالة الاجتماعية وسوء توزيع الثروة والدخل والخدمات الأساس كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف، مما يؤدي إلى الاحباط لدى الفرد أو الجماعة[4].

2. الأسباب الدينية:

هي أخطر الأسباب لبروز ظاهرة الإرهاب والتطرف، وتنشأ نتيجة الجهل بأحكام الشريعة، وسوء الفهم والتفسير الخاطئ لأُمور الدين، ويعاني العديد من المسلمين من هذا الأمر، وينتج عن ذلك الغلو في الدين والتعصب فلا يقبل من الدين والعلم والرأي إلا ما جاء عن طريقهم، وهو ما يؤدي إلى قضايا أكبر مثل

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

التكفير والولاء والبراء والجهاد، ومثل هذا الأمر يؤدي إلى بث الفرقة داخل المجتمع بأديانه وطوائفه المختلفة مما يؤدي إلى تفكك المجتمع وانتشار العنف، خاصةً إذا وجد التطرف في بيئة حاضنة له، تترافق مع قلة العلم والثقافة وغياب الضوابط الشرعية، الذي يسهل انقياد المجتمع لدعاة العنف والتطرف والإرهاب[5].

3. الأسباب السياسية:

تعد الأسباب السياسية هي الأخرى من الأسباب المهمة في بروز ظاهرة الإرهاب والتطرف، مثل ترسبات الاستبداد السياسي، والتغيير السياسي الذي حدث في العراق بعد عام 2003، الذي جاء بقوة الترسانة العسكرية الأمريكية ولم تكن البيئة الاجتماعية والسياسية العراقية متهيئة لمثل هكذا تحول من نظام شمولي مستبد إلى نظام ذي توجهات ديمقراطية، وقد أدى هذا الموروث المتراكم من العنف والاستبداد والتسلط الى انتقاله بشكل عفوي إلى الثقافة العامة للمجتمع، جاعلاً السمة الأساس للمجتمع العراقي هي ثقافة ذات سمة إقصائية تسلطية انتقامية فضلًا عن ضعف تشكيل هوية وطنية جامعة للعراقيين وغياب ثقافة تقبل الآخر المختلف في هذا الوطن في ظل ضعف أداء السلطة والنخب السياسية في بناء دولة القانون والمجتمع المدني فضلًا عن ذلك دور العامل الخارجي الإقليمي والدولي وتواجد قوات الاحتلال الأمريكية على الأرض العراقية مما أدى إلى انتشار الجماعات الإرهابية على الأرض العراقية وتأثيراتها السلبية على المجتمع العراقي التي أدت إلى انتشار الفكر التكفيري المتطرف ومن ثم الإرهاب في العراق[6].

4. الأسباب النفسية:

يرجع بعض العلماء بروز ظاهرة الإرهاب والتطرف إلى الأسباب النفسية، إذ يكون لدى بعض أفراد المجتمع غريزة الموت، أو والقتل والاعتداء على الاخرين، ويقول بعض العلماء بأنها تصريف لطاقة أو لشحنات بدافع العدوان والرغبة في تدمير الذات والآخر، فضلًا عن الاضطرابات النفسية[7].

المبحث الثاني: الدور الوظيفي للمؤسسات الأكاديمية في مواجهة الفكر المتطرف

تؤدي المؤسسات الأكاديمية دوراً جوهرياً في مواجهة الفكر المتطرف، إذ تشكل محاضن للعلم والمعرفة ومنارات للتنوير الفكري، ومن خلال رسالتها التعليمية والبحثية، تسعى هذه المؤسسات إلى بناء عقول ناقدة وقادرة على تحليل الأفكار وتقييمها بموضوعية، مما يجعلها خط الدفاع الأول ضد التطرف والانغلاق.

إذ تبدأ هذه المسؤولية من قاعات الدراسة، حيث تُغرس قيم التسامح والتعايش واحترام الاختلاف في نفوس الطلاب، فالتعليم الأكاديمي لا يقتصر على تقديم المناهج، بل يمتد إلى بناء الشخصية الإنسانية القادرة على قبول الآخر وفهم التنوع كجزء من طبيعة الحياة، وأن البيئات الجامعية، بما تحويه من تنوع ثقافي وفكري، تُعد مساحات مثالية لتعليم الطلاب كيفية الحوار البنّاء وحل النزاعات بطريقة سلمية.

بهذا الدور المتكامل، تجمع المؤسسات الأكاديمية بين التعليم والتوعية والمبادرة العملية، مما يجعلها قوة أساسية في بناء مجتمعات آمنة ومستقرة، قادرة على مواجهة الفكر المتطرف وتجذير قيم السلام والتعايش.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

المطلب الأول: دور الجامعات في مواجهة الإرهاب والتطرف

تعد المؤسسات الأكاديمية، سيما الجامعات مؤسسات اجتماعية تعليمية ثقافية متخصصة لها الدور الكبير والمؤثر في توجيه الوعي الفكري والمعرفي للشباب وتحافظ على انساق الهوية الوطنية وتعزيزها، وتعد الجامعة من أهم المؤسسات التربوية التي تحتضن مجموعة من الشباب لتأهيلهم من ضمن اختصاصات شتى وتزويدهم بالمعرفة والخبرة العلمية وتنميتها ونشر العلوم والثقافة وبالتالي هي أحدى ادوات بناء القيادات المختلف، الفكرية والعلمية والادبية وبمختلف المستويات، لذلك تقوم حركات التطرف العنيف اليوم بالدخول من ضمن هذه المساحات التعليمية لغرض التلاعب والتجنيد على أساس الهويات الفرعية التي من أبرزها (الأصل العرقي والقومي، والدين، والطائفة)[8]، عبر نشر تفسيرات متزمتة للدين والثقافة تسهم في عدم تقبل الآخر، وقد تصل إلى حالات العنف المختلفة، مستغلة ظروف بعض الشباب الذين يسعون جاهدين لإشباع احساسهم بالهوية والانتماء، وقد يصبح العديد من الشباب عرضة لإغراء الحركات المتطرفة التي تتبنى تفسيرات صارمة للدين، والعرق، من أجل تأكيد التفوق على الآخرين أو لسد عقدة نقص معينة[9].

وفي هذا الاتجاه نلاحظ عندما دخل تنظيم (داعش) الإرهابي الموصل عام 2014 توجه نحو المؤسسات التعليمية، وغير المناهج التعليمية، وبث سمومه الطائفية في تلك المؤسسات لمدة قاربت الثلاثة سنوات[10].

إن التنظيمات المتطرفة في المملكة المتحدة، وإندونيسيا، وباكستان والفلبين، طورت تكتيكات جديدة بما فيها داعش، بتحويل جهودهم نحو الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الاخرى، عبر استهداف الشباب الجامعي الذين لديهم مهارات تقنية تتراوح بين تحرير الفديوات، الى التقنيات الهندسية المتخصصة، التي تزداد قيمتها عند الجماعات المتطرفة، التي تتوافر على استراتيجيات اعلامية متطورة، وتخطيط لهجمات عالية التأثير، وهناك تقارير تشير إلى أن داعش استطاع أن يجند (27) طالب طب نيجيري، من جامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا في السودان، وكان من بينهم (22) طالب يحملون الجنسية البريطانية وأبناء أطباء معروفين في المملكة المتحدة[11].

فالمهم هو كيفية وقاية الطلبة، وزيادة وعيهم وفهمهم العميق لهوياتهم الاجتماعية، في إطار الهوية الوطنية الجامعة مع عدم استبعاد الهويات الفرعية واحترامها، إذ لم تعد الجامعات والمعاهد معنية بمنح الشهادات العلمية فحسب، في ظل ما يجتاح العالم من موجات التطرف، بل أصبحت مطالبة بأن تكون مكاناً لبناء الإنسان المنتمي والمؤمن بقضايا أُمته والمسلح بالعلم والثقافة والمعرفة لكي يدفع بها كل ما من شأنه النيل من المجتمعات الآمنة، وتظهر تلك الأهمية الكبيرة على اعتبار أن الفرد قد وصل إلى سن الرشد ووجب صقل شخصيته الفكرية والاجتماعية وهنا يأتي دور الأمن الفكري في صيانة الفرد في مرحلة التعليم الجامعي.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

ويقصد بالأمن الفكري: أن يعيش الأفراد في مجتمعاتهم وأوطانهم آمنين على مكوناتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية[12] ، كما يعرفه الباحثون على أنه دعامة فكر الإنسان تجاه التطرف والانحراف من خلال الالتزام بمنهج الوسطية والاعتدال في فهم مختلف القضايا التي يؤدي الخروج عنها إلى زعزعة الأمن في المجتمع[13]

تضطلع الجامعات اليوم بدور تربوي ومعرفي وتثقيفي كبير، بما يقع عليها من مسؤوليات وطنية في تحصين أفراد المجتمع من خطر الأفكار المنحرفة والضالة وفق المنهج الصحيح والمعتدل، ووفق الأُسس الوطنية والثقافية والاجتماعية، فالأمن لم يعد مسؤولية الجهات الأمنية الرسمية فحسب، بل أصبح وضيفة تشاركية بين كافة النظم المجتمعية الرسمية وغير الرسمية وواجب من الواجبات وضرورة من الضرورات للمحافظة على مجتمع آمن ومستقر[14] .

وهنا يثار تساؤل هل أن مكافحة الإرهاب يقع على عاتق التعليم العالي؟. الجواب كلا لا يقع على عاتق التعليم العالي، لأن مكافحة الإرهاب هو من عمل المؤسسات الأمنية والعسكرية فقد ذكرنا بأنه فعل، والفعل لا يواجه إلا بفعل، لكن يطرح سؤال آخر هل المؤسسة العسكرية وحدها قادرة على مواجهة الإرهاب والقضاء عليه؟. الجواب هو أننا إذا أردنا القضاء على جذور الإرهاب ينبغي أن نقضي على فكر الإرهاب المستند على التطرف، والتطرف فكر لا يواجه إلا بفكر، وهنا يأتي دور المؤسسات التعليمية والبحثية ومؤسسات المجتمع المدني في مساعدة المؤسسات الأمنية والعسكرية الرسمية في مواجهة الإرهاب والقضاء على جذوره المتمثلة بفكر الإرهاب المتطرف[15].

عند دراسة الجماعات الإرهابية نرى أن تمددهم لم يقتصر على النطاق الجغرافي فحسب، بل امتد ليكون لديهم خلايا نائمة ومراكز دراسات ومنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي، إذ يقومون بتجنيد الشباب وتسميم أفكارهم* عن طريق المواقع الرسمية التابعة لهم على (الفيس بوك، وتويتر، والأنستغرام، والتلغرام).

وعند العودة إلى أهمية التعليم فإننا نجد فيه القدرة على مواجهة التطرف المؤدي للإرهاب من خلال بناء شخصية الفرد وصقلها بما يتوافق مع القيم الاجتماعية المدنية وهذا سوف يكون حاجزاً منيعاً ضد الانحراف وداعماً أساسياً للأمن في المجتمع.

وينطلق الدور التربوي للجامعة من أنها قيمة أساسية تسهم في تكوين شخصية الطالب الجامعي وبلورة ملامحه الفكرية ليكون فرداً قائداً منتجاً بناءً في مجتمعه، ويتمحور الدور التربوي للجامعة في محورين هما[16]:

1. **المناهج التعليمية**: وتمثل الإطار العام للتعليم الذي يتم بموجبه مد الطالب بالقيم والسلوك والمعارف اللازمة للحياة كمواطن يمتلك شخصية فعالة في المجتمع، فالمناهج التعليمية تعد الدعامة الأساس لإعداد الأجيال القادمة وتأهيلها لتكون قادرة على العمل المنتج والبناء للمجتمع وإحداث النقلة

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

النوعية من التخلف الى العلم ومن التعصب الى القبول بالآخر وتحقيق تكيف الفرد مع ذاته ومحيطه وتكوين الأمن الفكري والمواطنة الصالحة.

2. **الاستاذ الجامعي**: الذي له الدور البارز في غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية الصحيحة عن طريق المقررات التعليمية والاساليب التي يتبعها الاستاذ الجامعي من خلال الحوار والنقاش لتوضيح الظواهر الجديدة في المجتمع وتبيان سلبياتها وإيجابياتها على الطلاب والمجتمع وخلق البيئة المناسبة والوعي المعرفي لمواجهة الأفكار المنحرفة كأفكار العنف والإرهاب ومحاولة اكتشافها ووضع الحلول المناسبة للحد منها، وينبغي أن يكون الاستاذ الجامعي متبنياً لمبدأ الوسطية والاعتدال فكراً وممارسة، وإعطاء الدور للطلاب ومناقشتهم حول اقتراح الحلول في ضوء مبادئ الدين وثوابت المجتمع ومنطلقاته وتوجيهها نحو الاعتزاز بالوطن وثقافته وحضارته.

ذكرنا سابقاً، أن الفكر لا يواجه إلا بفكر ومن هي بيوت الفكر؟ إن بيوت الفكر هي وزارة التعليم العالي في العراق وفي أي دولة وما يتفرع منها من مراكز دراسات وبحوث وجامعات ومعاهد، فالجامعات وفقاً للاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب في العراق والتي صدرت عن جهاز مكافحة الإرهاب 2021-2025 والاستراتيجية الأُخرى التي هي استراتيجية مكافحة التطرف العنيف المؤدي إلى الإرهاب التي أصدرتها مستشارية الأمن القومي، وجميع الاستراتيجيات والرأي الأكاديمي بصورة عامة تجتمع جميعها وبحزمة واحدة على تفعيل دور الجامعات في مكافحة منابع الإرهاب ودوافع الإرهاب ومسببات الإرهاب، ألا وهو الفكر المتطرف ومن ثم يمكن أن نعطي بعض الحلول أو المقترحات أو الثمار ونُفعِّلُها في الدول التي خرجت من النزاعات لغرض تحقيق ذلك الغرض[17]:

1. تربية الأجيال على التعايش والتسامح وعلى حب الوطن وقبول الآخر، وتعزيز الهوية الوطنية والثقة بالدولة والنظام السياسي على وفق دستور عام 2005 .
2. ضرورة تطوير الأبنية وتطوير جودة التعليم، حتى تستطيع الجامعة أن تصنع من طالب الجامعة (قدرة)، وقدوة حسنة في مجتمعه وفي سوق العمل سواء كان على المستوى المحلي أم الخارجي.
3. ضرورة أن تضاف مواد تدريسية في أي مرحلة من المراحل الدراسية تدعو إلى التعايش والسلام والاعتدال والوسطية والإيمان بالآخر، والاعتراف بجميع الأديان والقوميات والتنوعات الموجودة في المجتمع والتأكيد على أن هذا التنوع هو مصدر إثراء وليس ضعف للمجتمع، مما يساعد الشباب على نبذ خطاب الكراهية والعنف ونبذ (التسميم السياسي) الذي يغزو دولتنا عن طريق الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.
4. تفعيل دور الجامعة في مكافحة الإرهاب أي بمعنى مناهضة التطرف، عن طريق استحداث تخصصات دقيقة يتخرج فيها الطالب من كلية العلوم السياسية (دبلوم مكافحة التطرف والإرهاب)، أو أن

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

يتخرج من كلية الآداب دبلوم (المقاصد الجمالية لمكافحة التطرف) الذي يتم فيه إظهار الصورة البشعة للتنظيمات الإرهابية مقارنة بالمقاصد الجمالية التي لدينا.

5. فضلًا عن مواجهة الإرهاب والتطرف عسكرياً ينبغي أن يتم مواجهته فكرياً من قبل المؤسسات الأمنية، وهذا ما تم الانتباه إليه من قبل جهاز مكافحة الإرهاب في العراق إذ قام بتفعيل الجانب الفكري لمكافحة التطرف والإرهاب من خلال البحوث والدراسات العلمية التي تساهم في ذلك.
6. ضرورة فتح مراكز دراسات متخصصة بمكافحة التطرف والإرهاب، وأن يكون للجامعات ومؤسسات المجتمع المدني والنخب المثقفة الدور البارز فيها، وأن يكون فيها أنشطة وفعاليات وبرامج لسياسات عامة مجتمعية تنزل إلى الشارع وتحث على نبذ خطاب العنف والكراهية وإعداد الشباب بصورة صحيحة.
7. الاهتمام بالجانب الفكري ومراقبة مواقع التواصل الاجتماعي المشبوهة التي تقوم بتجنيد الشباب فضلًا عن وسائل الإعلام ودور العبادة والطلبة المبتعثين خارج العراق وخصوصاً البعثات المجانية التي قد تكون منطلقاً للتطرف عن طريق تجنيد هؤلاء الشباب وتسميم أفكارهم بما يتنافى مع حب الوطن وقبول الآخر في ظل ضعف الرقابة على الطلبة المبتعثين للخارج مما يزرع الكراهية داخل المجتمع.

المطلب الثاني: منطلقات تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب

تأتي هذه المنطلقات كاستجابة للسياسات والتدابير التي نادت بها الاستراتيجية والتي تتمثل بـ (الإعاقة والمنع، الوقاية والتأهيل، وبناء القدرات).

ويأتي دور مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي بآلاتي:

1. اتباع النهج الناعم في تفكيك المتبنيات الفكرية والدينية للجماعات المتطرفة المولدة للإرهاب.
2. تفعيل المواجهة الفكرية المضادة، ووضع آليات واضحة ودقيقة تتبناها الجامعة تجاه فكر الجماعات المتطرفة، ومشاركة كافة الأديان والطوائف والمذاهب لبناء جبهة واحدة متماسكة لمناهضة التطرف.
3. توجيه الدراسات التاريخية والدينية والاجتماعية وفق فكر يعتمد على المنطق الإصلاحي الاعدادي.
4. اعداد جيل يؤمن بالوسطية والابتعاد عن التطرف وبث روح المواطنة والتسامح، بغية افشال المخططات الإرهابية التي تحاول النيل من اللحمة الوطنية.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

5. تعزيز وحدة الصف والتأكيد على الهوية الوطنية لاسيما ان الإرهاب استهدف كافة مكونات وأطياف الشعب العراقي وهذا بحد ذاته يدعو الجميع الى رص الصفوف وتوحيد المواقف ضد الإرهاب ومخططاته.
6. المراقبة والمتابعة للمؤسسات التعليمية وعدم جعلها منابر للفتنة والانقسام والتطرف ومكانا للتخندق الطائفي والحزبي على حساب الأهداف السامية التي أسست من اجلها.
7. تشجيع وتوجيه الهيئات التدريسية والكوادر التعليمية والطلاب على تضمين بحوثهم العلمية والرسائل والاطروحات الجامعية لتفكيك ظواهر التطرف وانعكاساتها على مسار الأمن والتنمية وباقي المجالات الأخرى.
8. الإفادة من القدرات الطلابية والخبرات والكفاءات التدريسية لتقديم الاستشارات والمقترحات لمعالجة قضايا التطرف.
9. تفعيل المراكز البحثية وتطويرها بالتنسيق والتعاون مع نظيرتها في الدول المتقدمة وعقد مذكرات التفاهم مع المراكز العالمية لمناهضة التطرف ووليده الإرهاب.

الخاتمة:

يُعد الفكر المتطرف ظاهرة عالمية تعرفها المجتمعات الإنسانية جميعها بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، ويكون الاختلاف بين المجتمعات بهذا الخصوص، من حيث حجم التطرف وشدته من ناحية وأسبابه من ناحية أخرى، فضلاً عن الأوضاع والمراحل التأريخية التي تمر بها المجتمعات، وهذا يعني أن هذه الظاهرة هي ليست ظاهرة لصيقة بمجتمع معين دون غيره بالرغم من الاختلاف في شدتها وأسبابها.

والعراق بالرغم من تجاربه المهمة في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف، إلا إنّه بحاجة إلى خطط كفيلة بتخليص البلد من الفكر المتطرف داخل مواقع التواصل الاجتماعي وذلك بالتصدي إلى خطاب الكراهية أولاً ومكافحة التطرف ثانياً وتجفيف منابع الإرهاب ومكافحته ثالثاً، ويتلخص ذلك بتعزيز (التوعية الإعلامية، برامج المصالحة الوطنية، قوانين العدالة الانتقالية، برامج الاندماج والتكافل الاجتماعي)، كذلك البرامج الأمنية والعسكرية كذلك تفعيل المؤسسات من ضمن هيكليات الوزارات الخدمية والتربوية والثقافية التي تعمل على مستوى النواحي والقرى، لتشغل الفراغات والفجوات السابقة التي تركت بسبب التغيير في النظام السياسي في العراق وكذلك الحروب والحصار والإرهاب إذ جعلها عرضة للإرهاب والتطرف الفكري والخطاب السياسي الفئوي الضيق وكذلك الإثني والعرقي.

الاستنتاجات:

1. شكل الفكر المتطرف في العراق بعد عام 2003 أزمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وأمنية، مما أدى إلى تفكك النسيج الاجتماعي وتشويه الهوية الوطنية، إذ استغلته الجماعات المتطرفة لإثارة العنف والانقسام.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

2. أسباب متعددة لظاهرة التطرف، تشمل الأسباب الاجتماعية والاقتصادية مثل الفقر والبطالة، والدينية مثل الفهم الخاطئ للشريعة، والسياسية مثل غياب هوية وطنية جامعة، والنفسية التي ترتبط بالاضطرابات النفسية الفردية.
3. للجامعات دور رئيسي في مواجهة الفكر المتطرف من خلال المناهج التعليمية، وتوعية الشباب، وصقل شخصياتهم وفق قيم الوسطية والاعتدال.
4. التطرف كفكر لا يواجه إلا بفكر، ومكافحة الإرهاب تتطلب التعاون بين المؤسسات الأمنية والفكرية والتعليمية للقضاء على جذوره الفكرية.
5. يعد التعليم وسيلة أساسية لتعزيز الأمن الفكري وصيانة الأفراد من الانحراف نحو الفكر المتطرف من خلال بناء الهوية الوطنية وتعزيز القيم الإيجابية.

التوصيات:

1. تعزيز المناهج التعليمية، عن طريق إدراج قيم التسامح والاعتدال في المناهج التعليمية بالجامعات، وتنظيم برامج تعليمية وورش عمل تُبرز مخاطر التطرف وأهمية التعايش السلمي.
2. تعزيز التعاون بين الجامعات، والمؤسسات الأمنية، ومنظمات المجتمع المدني، للتصدي للتطرف العنيف.
3. تنفيذ برامج تستهدف الشباب الأكثر عرضة للتأثر بالتطرف، وتزويدهم بفرص تعليمية ومهنية.
4. تشجيع البحوث العلمية لدراسة أسباب التطرف ونتائجه وسبل مواجهته.
5. تنظيم حملات لتعزيز الهوية الوطنية الجامعة ونشر ثقافة تقبل الآخر.
6. التركيز على احترام التعددية في الخطاب الأكاديمي والإعلامي.
7. إنشاء منصات رقمية مضادة للفكر المتطرف تعمل على نشر الفكر المعتدل باستخدام تقنيات الإعلام الحديث.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

المصادر والمراجع:

(1) عبد العزيز محمد سرحان، حول تعريف الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الاردني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الاوسط، عمان، 2015، ص17.

(2) نقلاً عن: سليم فرحان، الإرهاب والمقاومة–رؤية نظرية، مركز الفرات للدراسات الاستراتيجية، 2015، كربلاء، ص3.

(3) علي فارس حميد وعلي أحمد عبد مرزوك، سياسات مناهضة التطرف من منظور الامن المجتمعي (العراق انموذجاً)، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العراق، العدد61، 2020، ص81.

(4) فواز موفق ذنون، دور النخب المثقفة في مواجهة ظاهرة الإرهاب، مجلة بحوث، مركز لندن للبحوث والاستشارات، العدد (18)، لندن، 2018، ص147.

(5) فواز موفق ذنون، مصدر سبق ذكره، ص147.

(6) سلام عطاالله شباط، الاغتراب السياسي والمواطنة في العراق الأسباب والانعكاسات، مؤسسة ثائر العصامي للنشر والتوزيع، بغداد، 2021، ص117–128.

(7) أسماء بنت عبد العزيز، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، المركز الوطني لابحاث الشباب، الرياض، 2004، ص22.

(8) أمجد المنيف، رايات السواد، دار تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، 2018، ص134.

(9) عادل مسعود، الإرهاب الدولي، دورة كبار القادة، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، القاهرة، 1998، ص46.

(10) انجي محمد مهدي، الجهاد الالكتروني: دراسة لتنظيم داعش واستراتيجية الولايات المتحدة لمواجهته، مجلة كلية الاقصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، المجلد22، العدد2، 2021، ص156 – 157.

(11) نادي محمود حسن، التطرف الفكري أسبابه وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة، وقائع المؤتمر العام السابع والعشرون، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الاوقاف المصرية، القاهرة، 2022، ص69.

(12) سعود بن عبد العزيز البقمي، نحو بناء مشروع تعزيز الامن الفكري في وزارة التربية والتعليم، جامعة الملك سعود، 2009، ص4.

(13) المصدر نفسه، ص4.

(14) خليل ابراهيم الابراهيم، دور الجامعات في ترسيخ الامن الفكري، صحيفة الجزيرة، السعودية، 2015، ص3.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0190001

(15) انجي محمد مهدي، مصدر سبق ذكره، ص156 –157.

* نشأ مصطلح (التسمم السياسي) في الادبيات الفرنسية أواخر الستينيات من القرن الماضي، والذي يدور حول زرع أفكار معينة من خلال الخديعة والكذب، إذ تؤدي الى تصور معين للموقف يختلف عن حقيقته، للمزيد ينظر: علي فارس حميد وعلي أحمد عبد مرزوك، مصدر سبق ذكره، ص91.

(16) ونيان عبيد دهام السبيعي، دور الجامعات السعودية في تعزيز الامن الفكري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2015، ص22.

(17) للمزيد ينظر: الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب 2021–2025، جهاز مكافحة الإرهاب، بغداد، 2021.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0